

الفقه الاسلامي - الأخلاق الاسلامية - الغيبة - الدرس ٦-٢ : أضرار الغيبة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٤٢-١٩٩٥

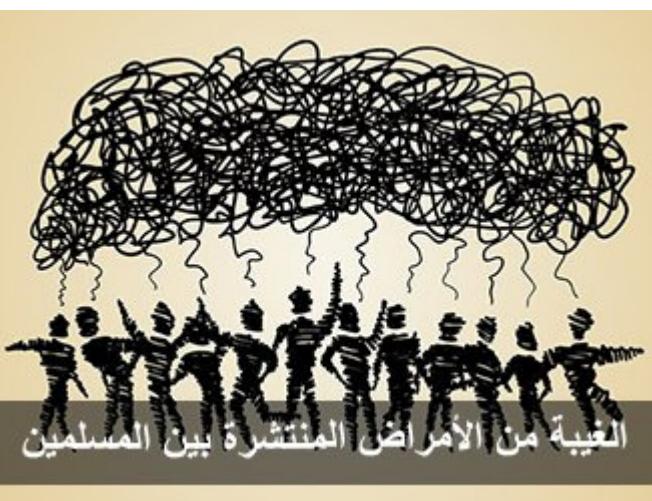
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزرنا علماء، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنها وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الغيبة من أكبر الكبائر فهي تفكك المجتمع الإسلامي :

أيها الأخوة الكرام، لا زلنا في موضوع الغيبة

والغيبة كما تعلمون من الكبائر بل إن بعض العلماء يقول: إنها من أكبر الكبائر، والغيبة يمكن أن تفكك المجتمع الإسلامي، ويمكن أن تضعفه، ويمكن أن تشرذمه، وهي المعصية المتفشية بين المسلمين وهم لا يشعرون، فلذلك كان الإلحاح على هذا الموضوع في هذا الدرس، وفي درسين قادمين إن شاء الله من أجل أن نستحصل إن شاء



الله تعالى في المجتمع المسلم كُلُّ ما يجعل في وحدته مزقاً.

عبد الله بن عمر نظر إلى الكعبة فقال: "ما أعظمك وما أعظم حرمتك ولكن المؤمن أعظم حرمته عند الله منك"، فهذا الذي يجترئ على مؤمن، وعلى ولد من أولياء الله لينهشه بلا حق وبلا سبب ومبرر، لهذا له عند الله إثم كبير.



قال: رويا أن رجلين قاعددين عند باب من أبواب المسجد فمر بهما رجل فوقعا فيه أي نالا منه أي اغتاباه، ثم دخل الرجلين فصليا مع الناس، فحاك في

أضرار الغيبة

العبادات طريق لسمو الإنسان إلى الله عز وجل

أنفسهما ما قالا فأتيا عطاء - ابن عطاء الله السكندري - فسألَهُ فَأَمْرَاهُمَا أَنْ يُعِيدَا الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ، وَأَمْرَاهُمَا أَنْ يَقْضِيَا الصَّيَّامَ إِنْ كَانَا صَائِمَيْنَ، مَا قِيمَةُ الْعِبَادَاتِ؟ الْعِبَادَاتُ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَسْنُو، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ تَسْتَقِيمَ، فَإِذَا كَانَ إِلَّا إِنْسَانٌ يُصْلِي وَيُغْنَابُ، وَيُصْلِي وَيُكَذِّبُ، وَيَصُومُ وَيَفْعُلُ مَا لَا يُرْضِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَا قِيمَةُ الْعِبَادَاتِ؟ إِنَّهَا طَرِيقٌ لِسُمُوِّ إِلَيْهِ إِلَيَّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ إِنْ عَطَاءَ اللَّهِ السُّكْنَدَرِيِّ - وَهُوَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْكَبَارِ الَّذِي لَهُ الْحِكْمَةُ الْعَطَائِيَّةُ - لَهُمَا أَنْ يُعِيدَا الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ وَأَمْرَاهُمَا أَنْ يَقْضِيَا الصَّيَّامَ إِنْ كَانَا صَائِمَيْنَ.

طائفة من أقوال السلف الصالحة في موضوع الغيبة :

طبعاً أنا أضع بين أيديكم في هذا الدرس طائفةً من أقوال السلف الصالحة في موضوع الغيبة: فقد قال حاكم الأصم: "ثلاث خصال إذا كنَّ في مجلسِ فain الرحمة مصروفة عن أهله" - سواء كنت جالساً مع أهلك أو أصدقائك أو جيرانك أو سركائرك في عقد قران أو نزهة أو سفر أو حفلة أو زيارة مريض أي لقاء بشرى - ما معنى صرفت عنه الرحمة؟ يقول لك: ما سرنا وتنصي علينا، فاحبنا نذهب عائلة إلى نزهة فإذا بهم يرجعون مختلفين في أمرهم، "...ذكر الدنيا والواقعية بين الناس وكثرة الضحك" ،

هذه كلُّها تصرف الرحمة عن المجلس،
كلُّ من له مجلس في الأسبوع مع أهله
وأولاده في سهرة أو زيارة أو وليمة،
هناك ثلاثة أشياء إذا ذكرت في المجلس
صرفت الرحمة؛ طبعاً هذا مأخوذ من
قول النبي عليه الصلاة والسلام: عن
أبي هريرة وأبي سعيد يشهدان به على
ذكر الدنيا والواقعية بين الناس والضحكة تصرف الرحمة
عن أهل المجلس
(ما جلسَ قومٌ مجلساً يذكرونَ اللهَ
فيهِ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَتَغَشَّتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)



[ابن ماجه عن أبي هريرة]

ثلاثة عطاءات من الله: غشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وحفتهم الملائكة، وذكراهم الله فيمن عنده، فهذا كلام الحاكم الأصم: "ثلاث خصال إذا كنَّ في مجلسِ فain الرحمة مصروفة عن أهله: ذكر الدنيا والواقعية بين الناس والضحكة".

الابتعاد عن ذكر أهل المعاصي والموبقات في المجالس :

هناك نقطة دقيقة أشار إليها العالم الجليل عبد الله بن المبارك يقول: "لا تذكر أهل الأهواء والبدع بسوء إلا لمن يبلغوا لهم ذلك لعلهم ينجزون و إلا لا فائدة لذكرهم عند من لا يبلغهم"، هذه نقطة من أهم النقاط في الدرس؛ كيف؟! أحياناً تجلس مع إخوانك ولهم باع في التجارة، وكان هناك تاجر كذاب، ونصاب، ومحثال، فإذا أنت حكيت عنه وقد تحل الغيبة عنه، ماذا فعلت بنفسك أنت؟ أنت عَرَضْتَ على الحاضرين إنساناً ساقطاً



والإنسان الساقط من القيم والمبادئ يُشبع في الجلسة الانقضاض، فالإنسان إذا مسّك باقة أزهار شيء وإذا مسّك حيفة كان شيئاً آخر، فالباقة تتّعش والحبة تتّن، فنحن إذا تكلّمنا عن أهل الدنيا، وعن المُنحرفين، والمتكّرين، والفساق، وأهل المعاصي، وذكّرنا جلوسك مع إخوانك يشعرك بالسمو والسرور والاندفاع عدوائهم، وخفتهم، وحقارتهم، ولم إلى طاعة الله يبلغهم أحداً، فماذا استفينا من قصصهم؟ عكرنا نفوسنا، فإذا لم يكن هناك هدف واضح فلا تذكرهم، كما أنه يذكر الصالحين تتعرّض المجالس فذكر المُنحرفين تتتجّس المجالس، جلوسك مع إخوانك تشعر بسمو وسرور واندفاع إلى طاعة الله، فإياك أن تذكر اللئيم في المجلس، وهناك نصّ من النبي عليه الصلاة والسلام لما جاء عكرمة مسلماً فقال عليه الصلاة والسلام قبل أن يأتي عكرمة: "لقد جاءكم عكرمة مسلماً فإياكم أن تسبوا أباءه - من أبوه؟ أبو جهل! أعدى أعداء الدين - فإن سبّ الميت يؤذني الحي ولا يبلغ الميت"، فلا فائدة، إذاً هناك قاعدة إذا جلست مجلساً مع أشخاص لا غيبة لهم، الحديث عن اللؤم والخفة والدناة واللؤم والاستغلال والتاقض يُعكر المجلس كما أنّ الأعمال البطولية تفوح رائحتها على كلِّ الجالسين فيتشعّ قلوبهم، كذلك الأعمال السيئة تتّن رائحتها على كلِّ الحاضرين فتتّعكر قلوبهم، فإذا انعدمت الفائدة فلا داعي، فإذا أردت الكلام على الناس - وعلى من يستحقون الغيبة - فلا بدّ من أن يكون من فائدة وحكمة، أحياناً يقول لك: كاتب قصة واقعي؛ ما معنى واقعي؟ أي أعطاك أبغض صورة عن الإنسان من خيانة زوجية، وسرقة، واحتيال، وظلم، فهذا قد عكر لك قلبك، نحن نريد واقعاً مثالياً تنهض بنا.

قلت مَرَّةً: الفرق بين القانون والشرع
 فرق كبير جداً، فالقانون كلما هبط
 مستوى الإنسان هبط معه، فهناك
 مشروع قانون لاعتبار زنا المحارم
 ليس زنا!! أما الشرع فيرفعك إلى
 مستوى فهؤ بمكان عالٍ وما عليك إلا
 أن تصيل إليه قال تعالى:

﴿لِكُلِّ جَعْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةٌ وَمِنْهَا جَأْ﴾

[سورة المائدة: ٤٨]

ذكر أهل المعاصي يعكر صفوك وصفو من معك



فالنقطة الدقيقة يا أخواننا بكل لقاءاتك العائلية والأخوية والعملية وبكل مناسبة لا تذكر أهل المعاصي والموبقات، لا تذكر معاصيه ودناهاتهم وخفقهم وطريق كسبهم للمال فهذا يعكرك، كما أنه لا فائدة من ذلك إطلاقاً، فإذا كان هناك أمل بالتبليغ صار هناك هدفًّا أما دون هدف فقد عركت نفسك وما استقدت شيئاً.

الابتعاد عن الغيبة كيلا يضيع عمل الإنسان سدى يوم القيمة :

يقول أحد العلماء - وكلمه واقعي - : "عرضت على نفسي مرّة الصوم في حرّ شديد، أو ترك غيبة الناس فكان الصوم أهون عليها من ذلك".

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان إذا مرّ على قومٍ يغتابون يقول: "قوموا فتوضّوا فإنّ بعض ما تتكلّمون به ربما كان أشدّ من الحدث".

كان منصور بن المعتمر رحمه الله تعالى يقول: "لا ت قالوا من السلطان إذا ظلم بل أكثروا له الاستغفار فإنه ما ظلمكم إلا بذنبكم"، مرّة سأّلوا النمرود من أنت؟ فأجاب إجابةً بليةً: "أنا غضب الرب"، فالإنسان عندما يغضب يصبح يضرب الباب بيديه، والإله إذا غضب أرسل تيمور لنك، لذلك ورد في الحديث القديسي:

"أنا ملك الملوك ومالك الملوك، قلوب الملوك بيدي، فإن العباد أطاعوني حولت قلوب الملوك عليهم بالرأفة والرحمة، وإن العباد عصواني حولت قلوب الملوك عليهم بالسخط والنقم، فلا تشغلو أنفسكم بسب الملوك وادعوا لهم بالصلاح، فإن صلحهم بصلحكم".



الغيبة تضييع العمل الصالح يوم القيمة

أنا أضرب لكم مثلاً: لديك محل تجاري، وكلما دخل زبونٌ تتقى الله في هذا الزبون، وأئنَّ لا بد من إعطائه بضاعة جيدة ولا تخشُه، أنت فكرٌ تكيراً منطقياً هذا الإله العظيم الذي يراك كيف تتصحّ عباده، وكيف تحسّ إليهم، في البيع والشراء، ولا تكتب عليهم، ولا تدلّس عليهم، بل تتفعّهم بهذا البيع، هل يعقل لهذا الإله العظيم أن يُرسِل إليك موظفٌ يتهمك بتهمة باطلة؟ لنا أخٌ يبيع بعض الحاجات فدخلَ موظفٌ، تكلمَ عنه أحد الزبائن كلاماً أحرجَ الموظفَ؛ هذا أحسن إنسانٍ مُستقيمٍ، وأسعّاره معقولة، ويرجع البضاعة، فنَمْنَمَ الموظفُ وقال: السلام عليكم قال تعالى:

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾

[سورة النساء: ١٤١]

هذه الآية من الله تعالى، أما إذا كان الغش والتدايس والكذب فقد جعلت لهم ألف سبيل وسبيل.

قال سعيد بن الجبير رحمه الله تعالى:
"إِنَّ الْعَبْدَ لِيَعْمَلُ الْحَسَنَاتِ الْكَثِيرَةِ فَلَا يَرَاهَا فِي صَحَافِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَيْنَ الْأَعْمَالُ الْطَّيِّبَةُ مِنْ صَدَقَاتٍ وَزِيَارَةِ الْمَرْضِى؟ - فَيَقُولُ يَا رَبَّ: أَيْنَ حَسَنَاتِي؟! فَيَقُولُ لَهُ: ذَهَبَتْ بِاغْتِيابِكِ النَّاسُ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ".



لا تضيعوا أعمالكم سدى من أجل أن تغتابوا الآخرين

وَهَذِه طُرْفَةٌ وَلَكِنْ لَهَا مَعْنَى، فَقَدْ نَامَ شَقِيقُ الْبَلْخِي رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِيَلَّةً عَنْ وِرْدِهِ فَعَانَتْهُ امْرَأَتُهُ قَالَ: لَا تُعَاتِبِنِي أَنْ نِمْتُ عَنْهُ هَذِهِ اللَّيْلَةِ فَإِنَّ غَالِبَ عَلَمَاءِ الْبَلْخِي وَزُهادِهِ يُصَلَّوْنَ لِي وَيَقُولُونَ وَيَفْعُلُونَ، فَقَالَتْ: وَكَيْفَ؟ قَالَ: يَبِيتُ أَحَدُهُمْ يُصَلِّي طَوَالَ اللَّيْلِ، وَيُصْبِحُ صَائِمًا طَوَالَ النَّهَارِ ثُمَّ يَنَالُ مِنْ عَرْضِ شَقِيقِ الْبَلْخِي وَيَأْكُلُ لَحْمَهُ فَتَكُونُ حَسَنَاتُهُمْ كُلُّهَا لِي، فَإِذَا نَالَ النَّاسُ مِنَ الْإِنْسَانِ وَهُوَ بِرِيَءٌ وَمُسْتَقِيمٌ يَأْخُذُ حَسَنَاتِهِمْ.

ذَكَرَ لِي مَرَّةً صَدِيقٌ فَقَالَ: مَرَّةً أَمْنَتُ سِيَارَةَ الْوَقْدَ وَوَصَلْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ نَفَسٍ طَوِيلٍ وَفَرَحْتُ عَنْهَا بِذَلِكَ - إِذْ كَانَ عَنْهُ مُسْتَوْدِعٌ - وَبَعْدَ سَاعَتَيْنِ أَرَادَ أَنْ يَشْعُلَ الْمِدْفَأَةَ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا، لَمَذَا؟! لَقَدْ

كانت حَنْفِيَّةُ الْمُسْتَوْدِع مفتوحة فَكُلُّهَا ذَهَبَتْ في الحمام، خَيْرَةُ الْأَمْل، فَخَسَارَةُ خَمْسَةِ أَلْفِ لَاتُحَتمِلُ، فَكَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ خَسَارَةُ أَعْمَالِ صَالِحةٍ مِنْ أَجْلِ إِغْتِيَابِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ وَدُونَ دَلِيلٍ، فَقَطْ مِنْ أَجْلِ التَّسْلِيَّةِ فَاكِهَةُ الشَّتَاءِ غَيْبَةُ النَّاسِ، فَأَنْصَحُ نَفْسِيَ وَأَخْوَانِي أَلَا يُضِيعَ أَحَدُنَا عَمَلَهُ الصَّالِح سُدُّيًّا.

الجُرْأَةُ عَلَى النَّاسِ فِي غَيْبَتِهِمْ كَالْتَّرَلْفِ إِلَيْهِمْ بِحَضْرَتِهِمْ :

كنت أقول كلمة: الجُرْأَةُ عَلَى النَّاسِ فِي غَيْبَتِهِمْ كَالْتَّرَلْفِ إِلَيْهِمْ بِحَضْرَتِهِمْ كَلَاهُمَا عَلَامَةُ الْجِبْنُ وَالصَّغَارُ، فَالْجِبَانُ يَمْدُحُ الشَّخْصَ وَهُوَ حَاضِرٌ وَفِي غَيْبَتِهِ يَذْمُمُهُ.



يقول الإمام مالك بن دينار: "كَفَى بالمرءِ إِنْمَا أَلَا يَكُونَ صَالِحًا ثُمَّ يَجْلِسُ فِي الْمَجَالِسِ وَيَقُولُ فِي عَرْضِ الْصَّالِحِينَ" ، مِنْ أَنْتَ؟! وَمَاذَا قَدَّمْتَ لِلْأَمَّةِ؟ فَهَذَا أَلْفَ مُؤْلَفَاتٍ وَأَسَسَ مَعَاهِدَ، وَدَعَا إِلَى اللَّهِ، لَكِنَّكَ أَنْتَ لَا عَمَلَ لَكَ، وَلَمْ تُقْدِمْ شَيْئًا إِطْلَاقًا، فَكَيْفَ تَرِيدُ لِنَفْسِكَ وَلَمْ تَتَقَدَّمْ بِأَيِّ عَمَلٍ إِلَى اللَّهِ؟ بَلْ تَنَالُ مِنْ عِلْمٍ هُؤُلَاءِ وَمِنْ صَلَاحٍ هُؤُلَاءِ، إِذَا

نال امرؤٌ مِنْ وَاحِدِنَّ لَهُ فَهَذَا مَقْبُولٌ؛ عَالَمٌ لِعَالَمٍ، وَمُصْلَحٌ لِمُصْلَحٍ، أَمَا الْخَالِي مِنْ هَذِهِ الْأَمْوَارِ فَيَقُولُ وَيُنَصِّبُ نَفْسَهُ وَصِيَّاً وَقَاضِيًّا وَحَاكِمًا عَلَى هُؤُلَاءِ الصَّالِحِ وَالْعُلَمَاءِ فِي الْمَجَالِسِ، فَإِلَيْهِمُ الْمَالِكُ بْنُ دِينَارٍ يَقُولُ: "كَفَى بالمرءِ إِنْمَا أَلَا يَكُونَ صَالِحًا ثُمَّ يَجْلِسُ فِي الْمَجَالِسِ وَيَقُولُ فِي عَرْضِ الْصَّالِحِينَ".

وَهَبِيبُ بْنُ الْوَرْدِ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: "وَاللَّهُ لَتَرَكَ الْغَيْبَةَ عَنِّي أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ التَّصْدِيقِ بِجَلِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ".

أَحْيَانًا إِنْسَانٌ إِذَا كَانَ حَجمُهُ الْمَالِيُّ كَبِيرٌ فَالصَّدَقَةُ سَهْلَةٌ عَلَيْهِ، أَمَّا الْغَيْبَةُ فَتَرْكُهَا صَعْبٌ، فَهُوَ لَا يُسْتَطِعُ ضَبْطَ اللِّسَانِ بَلْ تَرَاهُ يُفْشِي غَلِيلَهُ بِالْتَّكَلُّمِ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ بِالسُّوءِ؛ تُهَمَّ مِنْ دُونَ دَلِيلٍ. وَكَانَ عَبْدُ الْعَزِيزَ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا بَلَغَهُ أَنَّ أَحَدًا اغْتَابَهُ يَذْهَبُ إِلَيْهِ إِلَى دَارِهِ، وَيَقُولُ لَهُ: يَا أَخِي مَالِكُ وَلِذُنُوبِ عَبْدِ الْعَزِيزِ تَحْمَلُهُ؟ فَهَذَا كَلَامٌ لَطِيفٌ مِنْهُ رَحْمَهُ اللَّهُ.

وَقَالَ أَحَدُ الصَّالِحِينَ: إِنَّمَا أَكْثَرُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ لِيَصِيرَ مَعِ شَيْءٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أُعْطِيَ خُصْمَائِيَّ الَّذِينَ لَهُمْ عَلَيَّ تَبَعَّةٌ مِنْ مَالٍ أَوْ عَرْضٍ فَإِذَا أَكْثَرُ الْإِنْسَانُ أَعْمَالَهُ

الصالحة يبُدو وكأنَّ عليه دُيوناً كبيرة يوم القيمة، فإذا كان يغتاب الناس في حياته فما عليه إلا أن يُكثر من الأعمال الصالحة حتى يذهب قسم منها وفاءً لِدُيون سابقة، وقع في أعراض الناس. هناك حديث رواه سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهم قال:

((كُنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَارْتَفَعَ رِيحٌ جِيفَةٌ مُنْتَنِيَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّدَرُونَ مَا هَذِهِ الرِّيحُ هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْمُؤْمِنِينَ))

[أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهم]

ضبط اللسان و العين يحتاج إلى جهدٍ ومتابعة ومراقبة دائمة :

وقد قيل لبعض الحُكماء: ما الحكمة في أنَّ ريح الغيبة ونتنِتها كانت تتبَّئنُ على عَهْدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تتبَّئنُ في يومنا هذا؟! قال: لأنَّ الغيبة كثُرت في يومنا هذا فامتَّلت الأنوف منها فلم تتبَّئنُ الراحة، مثل ذلك رجل دخل إلى دار الدباغ لا يستطيع القرب منها من شدَّةِ الرائحة فيها.

أما أهل هذه الدار يأكلون الطعام ويشربون ولا يحسُّون بهذه الرائحة لأنَّهم امتَّلت أنوفُهم منها، فإذا شاعت الغيبة وكثُرت صارت مألوفة، أما على عَهْدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد هبَّت ريح مُنْتَنِيَة، فهذه مشكلة أن تألفُ الانحراف حتى يصير جزءاً من الحياة، يرون أنَّ صاحب الطاحون ألفَ صوتَها متى يستيقظ؟ إذا توقفت؟



ضبط العين واللسان يحتاج إلى جهد

صوتُها يدعُو إلى النوم أما إذا توقفت فيسْتيقظ.

بعض العلماء يقول: لأنَّ أدعَ الغيبة أحَبَّ إلَيَّ من أن تكون لي الدنيا وما فيها منذ خُلُقتُ إلى أن تُنْفَى فأجعلُها في سبيل الله، وأنَّ أغضَّ بصرِي عما حَرَّمَ الله تعالى أحَبَّ إلَيَّ من أن تكون لي الدنيا وما فيها فأجعلُها في سبيل الله تعالى، ثمَّ تلا قوله تعالى:

﴿ وَلَا يَقْتُبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً ﴾

[سورة الحجرات: ١٢]

ممكِن أنْ تُتفَقَّدَ ألفَ مليون، ولكنَّ ضَبْطَ اللِّسَانَ لا تُقْدِرُ عليه، وكذا ضَبْطُ العين وَمِنْ دون مبالغة فإنَّ ضَبْطَهُما هو الذي يرقى بك إلى الله، فهو يحتاج إلى جهدٍ ومتابعة، وإلى مُراقبة دائمة، وإلى

حسابٍ عسير، ضيَّطَ اللِّسان وضيَّطَ العَيْن، فإذا صار فيهما نَفَلَتْ كان للمُسْتَوْدِع فَتْحَةً مِهْما
وَضَعَتْ في هذا المُسْتَوْدِع الْوَفِيلِيَّات فلن ترى فيه شيئاً.

قال سفيان بن الحُسْن رحمه الله تعالى: كنت جالساً عند ابن معاوية فمرّ رجل فنَلَتْ منه فقال:
اسْكُتْ، ثمَّ قال لي: يا سفيان هل غَزَوتَ الروم؟ قلتُ: لا، فقال: هل غَزَوتَ الترك؟ قلتُ: لا، فقال
لي: فلم سِلِّمَ الروم وسلَّمَ منك الترك ولم يسلِّمَ منك أخوك المسلم؟ قال: فما عَذْتُ إِلَى هَذَا أَبْدَاً.

التَّدَخُّلُ الإِيجَابِيُّ :

بالمُنَاسِبَةِ: النَّاسُ أَذْكِيَاءُ، وَمِنْ ظَنْهُمْ أَغْيَاءُ فَهُوَ الغَيْيُ وَحْدَهُ، لَا تَبْنِي مَجْدُكَ عَلَى أَنَّ فَلَانًا لَا دِين
لَهُ، وَأَخْلَاقُهُ سَيِّئَةٌ، وَالآخَرُ مَالُهُ حِرَامٌ، فَأَنْتَ مَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تُظْهِرَ مَا لَكَ مِنْ فَضْلٍ وَكَمَالٍ؛ وَهُوَ
أُسْلُوبٌ رَاقٌ جَدًّا، فَعَوَضَ أَنْ أَهْدَمَ أَبْنِيَاءَ، وَاسْمُهُ التَّدَخُّلُ الإِيجَابِيُّ، وَأَدَعُ النَّاسَ هُمُ الَّذِينَ يُوازِنُونَ،
أَحْطَمُ غَيْرِي حَتَّى أَظْهِرَ !!

قال أحد الحكماء: "إذا ضَعَفْتَ عن ثلَاثَ فَعَلَيْكَ بِثَلَاثَ؛ إِنْ ضَعَفْتَ عن الخير فَلَمْ يُسِّيكَ عن الشَّرِّ،
وَإِنْ كُنْتَ لَا تُسْتَطِعُ أَنْ تَنْفَعَ النَّاسَ فَلَمْ يُسِّيكَ عَنْهُمْ ضُرُّكَ، وَإِنْ كُنْتَ لَا تُسْتَطِعُ أَنْ تَصُومَ فَلَا تَأْكُلُ
لُحُومَ النَّاسِ" ، فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءٍ.

وَذُكْرٌ عَنْ مُجَاهِدِ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ لَابْنَ آدَمَ جُلْسَاءَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَإِذَا ذَكَرَ أَحَدَهُمْ أَخَاهُ بِالْخَيْرِ قَالَتْ
الْمَلَائِكَةُ لَهُ: وَلَكَ مِثْلُهِ، وَإِذَا ذَكَرَ أَحَدَهُمْ أَخَاهُ بِسُوءِهِ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ: يَا بْنَ آدَمَ كَشَفْتَ الْمَسْتَوْرَ،
لَرْجَعَ إِلَى نَفْسِكَ وَاحْمَدَ اللَّهَ الَّذِي سَتَرَ عَلَيْكَ عَوْرَتَكَ" ، فَاللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى السَّتَارُ،
فَالْمُسْلِمُ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الصَّالِحُ وَالْمُسْتَرُ، فَكُلُّ مَنْ اتَّصَفَ بِهَذَا فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَغْتَبَهُ، طَبْعًا الَّذِي يَتَحَدَّثُ
عَنِ الْمَوْبِقَاتِ مُفْتَحًا فَهَذَا لَا غَيْرَهُ لَهُ، أَمَّا الَّذِي فَاتَتْهُ صَلَاةُ الْفَجْرِ فِي وَقْتِهَا أَوْ طَاعَةً، فَمَا دَامَ
يَتَسَرَّ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَغْتَبَهُ.



روى خالد الرَّبِيعي رحمه الله تعالى،
قال: كنت في المسجد الجامعي فتناولوا
رَجُلًا - أي اغتابوه - فنهيتم عن ذلك
فكفوا وأخذوا في غيره ثم عادوا إليه،
فدخلت معهم في شيء من أمره، فرأيتُ
في تلك الليلة في المنام كأنني أتناني
رَجُلًا أسود طويلاً ومعه طبق عليه
قطعة من لحم خنزير فقال لي: كلُّ
قلتُ: أكلُ لحم خنزير! والله لن أكله

فانتهَرَني انتهاراً شديداً وقال: قد أكلتَ ما هو أشدُّ منه، فجَعَلَ يَدِيهِ في فمِي حتى استيقظتُ من نامي، فوالله لقد مكثتُ ثلاثة أيامَ ما أكلتُ طعاماً إلا وجئتُ طَعْمَ ذلك اللَّحمَ في فمي! يُروى عن سيدنا عيسى والله أعلم أنه قال لأصحابه: "أرأيتم لو أنكم أتيتم على رجلٍ نائم، وقد كشفتُ الرِّيحُ عن بعض عورته؛ أكنتم تستترون عليه؟ قالوا: نعم، قال: بل تكشفون البَقِيَةَ، قالوا: سبحان الله وكيف؟ فقال: أليس يُذكَرُ عندكم الرجل بالسوء فتذكرونَه بالأسوء فأنتم تكشفون بقية التَّوْبَ"؛ هذا تشبيه سيدنا عيسى عليه السلام.

إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَدْهَمَ - مِنْ كُبَارِ الصَّالِحِينَ، وَمَدْفونٌ بِجَلَّةٍ - كَانَ مِنْ أَشَدِ النَّاسِ زَجْرًا لِلْمُغْتَابِينَ وَقَدْ دَعَاهُ أَهْدَمُ مَرَّةً إِلَى الطَّعَامِ، فَلَمَّا قَعَدُوا لِلطَّعَامِ جَعَلُوا يَغْتَابُونَ رَجُلًا فَقَالَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَدْهَمَ، إِنَّ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَنَا كَانُوا يَأْكُلُونَ الْخِبْزَ قَبْلَ اللَّحْمِ، وَأَنْتُمْ بَدَأْتُمْ بِاللَّحْمِ قَبْلَ الْخِبْزِ، ثُمَّ خَرَجْتُ وَلَمْ يَأْكُلْ لِهِ طَعَامًا.

وقال بعض الحكماء: "الغيبة فكهة القراء، وضيافة الفاسقين، ومراتع النساء، وإدام كلاب الناس، ومن ابا، الأقتاء".

ولإبراهيم ابن أدهم كلام رائع، يقول: "يا مُكذب يا من تغتاب الناس بخلت لدنياك على أصدقاءك، وسخوت بآخرتك على أعدائك، فما أنت بما بخلت به معذور، ولا أنت بما سخوت به محمود، الإنسان المغتاب يسخو بأعدائه لآخرته.

إن كان هناك فائدة من ذكر أخطاء الآخرين فلا بد من ذكرها :

طبعاً تنشأ أسئلة كثيرة، وأصبح الأمر ضيقاً لكن هناك ثلاثة أبواب، لا بد من أن تقول الحق ولو كان مرواً، فهناك حالات لا بد من أن تقول الحق ولو كان مرواً، أما أنا الآن أتكلّم بشكل عام، حين لا تكون الفائدة من ذكر الأخطاء، فيجب لا تذكرها، أما إذا كان هناك فائدة؛ مثل أن يعيش أحدهم الآخر، ويُضلّل الإنسان، هنا لا بد من ذكرها، وهي من الغيبة، سوف نأتي بالأحاديث الدالة على ذلك، والأسئلة التي في أذهانكم الآن أجلوها إلى أن ينتهي موضوع الغيبة كلية.

عن أبي أُمامَة الباهلي رضي الله عنه قال: "إِنَّ الْعَبْدَ لِيُعْطَى كِتَابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَرَى فِيهِ حَسَنَاتٍ لَمْ يَكُنْ عَمَلَهَا فَيَقُولُ: يَا رَبَّ! مَنْ أَيْنَ لِي هَذَا؟ فَيَقُولُ: هَذَا مَا اغْتَبَكَ النَّاسُ وَأَنْتَ لَا تَشْعُرُ". مَرَّةً كَانَ هُنَاكَ عَالَمٌ شَابٌ مِنَ الْعَصْرِ الْعَيَّاصِي، يَبْدُو أَنَّهُ مُخْلَصٌ وَطَلِيقُ اللِّسَانِ



والناس أحبّوه، وأقبل الناس عليه، وأصبحت له شعبية بالتعبير الدارج، فاغتاظ أنداده وأكل قلبه
الحسد، فجعلوا ينالون منه، فجاءه رجل فقال له: يا فلان، والله إني أشفق عليك من كثرة ما يقوله
الناس عليك، فقال له: وهل سمعت مني شيئاً عنهم؟! قال: لا قال: عليهم فأشفق، فانت ما عليك
إلا أن تكون الطرف الأقوى.

وقال أحد الملوك لولده: "ليكن أبغض رعيتك عليك أشدّهم كشفاً لمعايب الناس فإن للناس معايب
أنت أحق بكتشافها، وأنت تحكم بما ظهر لك والله يحكم بما غاب عنك، وآخر الناس ما تكره
لنفسك، واستر العورة يستر الله عليك ما تحب ستره".



هناك شخص طبيعة مشكك، دائماً
ينتقد، مهما بدا العمل عظيماً يشكك فيه،
ومهما بدا مخلصاً يشكك فيه، ومهما بدا
عظيماً يقلل منه، فهذا طبع، يُسيء
الظن بالناس وكأنه هو الناس جمياً،
فهذا إنسان يسلك سبيل الشيطان وهو
يضعف الهم، ويُبتلي العزائم، ويُقلل
من أهمية العمل، فالإنسان قوي بأخيه،
فلو رأى منه عملاً طيباً وأثنى عليه
يُشجعه، هناك مواقف لطيفة جداً، وذكية جداً، وأخلاقية جداً، فاحذر من تنفيذ الهم، هناك من
يُخوّف من الدين؛ هذا هو النمط الشيطاني، قال تعالى:
﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أُولَئِكَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[سورة آل عمران: ١٧٥]

فالشيطان يخوّف ويعد بالفقر، والبطولة كما قال تعالى ألا نخاف الشيطان بل نخاف الله إن كانوا
مؤمنين.

يقول عليّ بن أبي طالب: "الأشرار يتبعون مساوى الناس ويتركون محاسنهم كما يتبع الذباب
المواضع الفاسدة، محلهم محل الأخطاء والعيوب ثم يضخمونها".

أمّة النبي معصومة بمجموعها بينما النبي معصوم بمفردته :

أيها الأخوة، إنّ أسلوب العيش مع الناس هو أنجح الأساليب، خذ النواحي الإيجابية من كل إنسان
فتحبّهم كلّهم، لطيف العشرة، أخلاقه عالية، وهادئ، فإذا كان أعجب منه خلقاً فأثن عليه، وتعامل
معه من هذه الإيجابية، إن أردت نصّحة فانصّحه على انفراد دون أن يكون في قلبك شيئاً تجاهه،
لأنّ أمّة النبي عليه الصلاة والسلام معصومة بمجموعها، بينما النبي عليه الصلاة والسلام

معصومٌ بمفردِهِ، فأنْتَ وَطَنْ نَفْسِكَ فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُصْلِيُ مَعَ أَصْحَابِهِ فَدَخَلَ رَجُلٌ لِيُلْحِقَ مَعَ النَّبِيِّ رَكْعَةَ الصَّلَاةِ الْأُولَى فَرَكَضَ وَأَحْدَثَ ضَجِيجًا فَلَمَّا انتَهَى مِنَ الصَّلَاةِ، فَلَنْبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَيِّدُ الْحَكَمَاءِ وَالْمُرْبِّينَ فَقَالَ لَهُ: "يَا أَخِي، زَادَ اللَّهُ حِرْصًا، وَلَا تَعُدْ"، فَسَرَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هَذَا الرَّكْضُ وَهَذَا الصَّوْتُ بِالْحِرْصِ لَا تُسْتَطِعُ أَنْ تُمْرِرَ لِأَخِيكَ الْمُؤْمِنِ أَعْمَالَهُ السَّيِّئَةَ، أَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَلْتَمِسَ لَهُ عُذْرًا؟" إِلَتِمِسْ لِأَخِيكَ الْعُذْرُ وَلَوْ كَانَ سَبْعِينَ مَرَّةً، فَكُلُّ مَا لَهُ نَوَاحٍ إِيجَابِيَّةً، فَالْمُؤْمِنُ يَأْخُذُ النَّوَاحِي الإِيجَابِيَّةَ دَائِمًا، أَمَّا الْفَاسِقُ وَالْعَاصِي وَشَيْطَانِي النَّزْعَةِ فَيَأْخُذُ نَوَاحِي الْعَصَفِ، فَالإِنْسَانُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ رَحْمَانِيَ الْمَزَاجُ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ شَيْطَانِيَ الْمَزَاجُ، فَالرَّحْمَانِيُّ يَأْخُذُ نِقَاطَ الْخَيْرِ وَيُنَمِّيَهَا، أَمَّا الشَّيْطَانِيُّ فَيَأْخُذُ النَّوَاحِي السَّلَبِيَّةَ وَيُضَخِّمُهَا، فَكُلُّ مَا نَوَاحِي الإِيجَابِيَّةِ.

يَقُولُ ابْنُ الْمَبَارِكَ: "لَوْ كُنْتُ مُغْتَبِبًا لَاغْتَبْتُ وَلَدِيَ لَأَنَّهُمَا أَحَقُّ بِحَسَنَاتِي مِنْ غَيْرِهِمَا".



الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِنَّكَ تَغْتَبُنَا؟ فَقَالَ لَهُ: وَمَنْ أَنْتَ وَمَا قَدْرُكَ عَنِّي حَتَّى أُحَكِّمَ فِي حَسَنَاتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ أَيُّ أَنْتَ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ أَغْتَبَكَ.

يَقُولُ سَيِّدُنَا عَمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: "عَلَيْكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ إِنَّهُ شِفَاءٌ، وَإِلَيْكُمْ وَنِذْكُرُ النَّاسَ إِنَّهُ دَاءٌ".

وَيَقُولُ الْإِمَامُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: "ابْنُ آدَمَ لَنْ تُصِيبَ حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ حَتَّى لا تُعِيبَ النَّاسَ بِعَيْنِهِ فِيهِ، وَهُنَّ تَبْدَأُ بِصَالَحٍ ذَلِكَ الْعَيْنُ فَتُصْلِحُهُ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ كَانَ شُغْلُكَ فِي خَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَأَحَبَّ الْعِبَادَ مِنْ كَانَ هَكَذَا".

يَقُولُ أَحَدُ السَّلَفِ الصَّالِحِ: "أَدْرَكَنَا السَّلَفُ الصَّالِحُ وَهُمْ لَا يَرَوْنَ الْعِبَادَةَ فِي الصَّوْمِ وَلَا فِي الصَّلَاةِ، وَلَكِنْ فِي الْكَفِّ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ".

تَجِدُ مَجْلِسًا مَمْلُوءًا بِالرَّحْمَةِ وَالْبَرَكَةِ إِذَا دَخَلَتِ الْغَيْبَةُ وَالنَّمِيمَةُ ذَهَبَتِ الْبَرَكَةُ.

ويقول سيدنا الحسين: "وَالله لِلْغَيْبَةِ أَسْرَعُ فِي دِينِ الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْأَكْلَةِ فِي الْجَسْدِ"، كيف أَنْ بَعْضَ الْوُحُوشِ تَأْكُلُ الْلَّحْمَ، فَالْغَيْبَةُ تَأْكُلُ دِينَ الرَّجُلِ كَمَا تَأْكُلُ بَعْضَ الْوُحُوشِ الْجَيْفَةِ.

الغيبة حجاب بين العبد و ربه :

أيها الأخوة الكرام، إذا أَلْفَ الْوَاحِدِ الْغَيْبَةَ وَصَارَتْ شَيْئاً طَبِيعِيًّا فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، فَلَوْ ذَهَبَتْ لِطَبِيبٍ، وَقَلَّتْ لَهُ: ذَهَبَتْ عِنْدَ فَلَانَ، وَقَالَ لَكَ: لَا يَفْهَمُ شَيْئاً وَدَجَالَ فَهَذِهِ غَيْبَةٌ، وَكَذَا التَّجَارُ؛ هَذِهِ مُشْكِلَةٌ فَالْغَيْبَةُ حِجَابٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ، وَكَذَا إِطْلَاقُ الْبَصَرِ، فَإِنْسَانٌ عَلَيْهِ أَلَا يُضَيِّعَ عَمَلَهُ الصَّالِحُ بِعَدَمِ ضَيَّقَتِ اللِّسَانِ، وَأَرْجُو اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ تُتَرْجِمَ هَذِهِ الْأَقْوَالُ وَالدُّرُوسُ إِلَى سُلُوكٍ، اجْعَلْ مِنْ بَيْتِكَ جَنَّةً بِذِكْرِ اللهِ، وَكَذَا مِنْ حَدِيثِكَ وَمَجَالِسِكَ، فَذِكْرُ اللهِ شِفَاءٌ، وَذِكْرُ النَّاسِ دَاءٌ.

والحمد لله رب العالمين